بحث رقم (٢)

الوظائف الإدارية لليهود ببلاد الشام عصر سلاطين دولة المماليك

(٦٤٨_ ٩٢٢ هـ / ١٢٤٩ – ١٥١٦م)

أ/ رشا فوزي أبو فاخره مرعي

طالبة ماجستير – قسم الترايخ – كلية الآداب – جامعة المنيا

الوظائف الإدارية لليهود ببلاد الشام عصر سلاطين دولة المماليك

(٦٤٨_ ٩٢٢ هـ / ١٢٤٩ – ١٥١٦م)

أ/ رشا فوزي أبو فاخره مرعي

طالبة ماجستير – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة المنيا

ملخص:

تناولت هذه الدراسة أهم المناصب الإدارية التى تقلدها اليهود علي الرغم من محاولة سلاطين المماليك عدم استخدام اليهود في الوظائف الإدارية لدولتهم من خلال المراسيم السلطانية التى غالبا لم تنفذ من قبل اليهود الذين تمكنوا من تولي بعض الوظائف الإدارية في بعض نيابات الشام ، بل أنه في بعض الاحيان تحكم هؤلاء اليهود في تلك النيابات ، الأمر الذي أستنكره عامة المسلمين فعملوا علي طرد هؤلاء اليهود الذين لجوا إلي دخولهم الغسلام حفاظا علي مكانتهم ووظائفهم .

الكلمات الافتتاحية : اليهود، المناصب الإدارية، المماليك.

Abstract:

This study deals with the most important administrative positions held by the Jews in the Mamluk state , despite the attempt of the mamluk sultans tried not to prevent the Jews from getting the administrative Jobs in their state throug the royal decrees which were often not occupied by the Jews who were able to assume some administrative functions in the Levant office ; but in some cases the Jews completely ruled those offices , this annoyed the general population of Muslims who worked to expel the Jews so the Jews sought to Conversion to Islam in order to Preserve in order to preserve their status and jobs.

Key words: The Jews, Administrative positions, The Mamluk.

لقد عمل اليهود في المناصب الإدارية في ظل الحكم المملوكي ، نتيجة لإدراك سلاطين المماليك لبراعتهم في الأعمال الديوانية والإدارية وكانت أهم تلك الوظائف وظيفة المترجم ؛ فقد عمل اليهود كمترجمين بسبب معرفتهم للعديد من اللغات حيث ساعهم في ذلك أصولهم الأوروبية إذ كان أغلب اليهود المتواجدين ببلاد الشام قادمين من الغرب الأوربي هروبا من الاضطهاد(١) الذى قام به الغرب الأوربي بما عرف بحركة التنصير الإجباري ؛ أوانهم خرجوا للشرق بهدف الحج إلي الأراضي المقدسة ولكنهم فضلوا الإقامة بالشرق عن العودة لبلادهم

للتبرك بهذه الأماكن ، فكانوا ما يزالون محتفظين بلغات مواطنهم الأصلية ، بالإضافة الي ذلك أدى اشتغال بعضهم بالتجارة مع المدن الأوروبية التجارية الي معرفتهم للعديد من تلك اللغات فعملوا كمترجمين في خدمة السلاطين المماليك، وكانت هذه الوظيفة تعد من أهم وظائف البلاط المملوكي في ذلك العصر واكد علي ذلك ما ذكره بيرو طافور عند زياته للقاهرة عام ٨٣٨ هـ / ١٤٣٥م، أن كبير التراجمه في بلاد السلطان الأشرف برسباي كان يهوديا وأسلم وغير اسمه من حاييم الي صايم (سايم)، وكان عمره حينئذ تسعين عاما(٢) وعلي الرغم من عدم وجود إشارة اليه قبل ذلك في المصادر المعاصرة إلا أنه من المرجح أنه عمل في هذه الوظيفة منذ فترة ويبدو أنه قد لعب دور مهم في اقناع السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي (٨١٦ – ٨٢٤هـ / ١٤١٣–١٤٢١م) ومن بعده الأشرف سيف الدين برسباي (٨٢٦ – ٨٤٢هـ / ١٤٢٢ – ١٤٣٨م) في انتزاع ملكية قبر داود لصالح اليهود عامي (٨٢٣هـ / ١٤٢٠ م ،٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م) حيث كان هذا المنصب بمثابة منصب وزير الخارجية في وقتنا الحالي، فيقوم صاحبه باستقبال الرسل والسفراء والرحالة والحجاج الأوروبيين الذين يفيدون الي القاهرة نتيجة لمعرفته العديد من اللغات الاوربية كما يقوم باستضافتهم في قصره(٣)، فيقول بيرو طافور" فتلقاني المترجم بالترحاب العظيم وأنزلني في داره فبقيت به يومين قبل لن أتمكن من رؤية السلطان "(٤) ويبدو أن هذه الفترة التي تسبق مقابلة هؤلاء الرسل والحجاج مع السلطان كان كبير التراجمه يقوم بترجمة ما في صحبتهم من خطابات واردة الي السلطان ويتم عرضها علي الأخير لدراستها حتي يتمكن من اتخاذ القرارات المناسبة والرد عليها، بالإضافة الي قيامه بتعليمهم الأسس والقواعد المتبعة عند مقابلة السلطان كما يقوم باصطحابهم الي القلعة ويترجم الحوار الذى يدور بينهم وبين السلطان(٥).

ويبدو ان اغلب من تولي منصب كبير التراجمه لدي سلاطين المماليك خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي كانوا من أصول يهودية أوروبية ، حيث ذكر العديد من الرحالة الأوربيون أن كبير التراجمه بالبلاط المملوكي أواخر هذا العصر كان يدعي ابن تغري بردي الذي حضر مقابلة الرسول البابوي الثانية للسلطان قايتباي التي تمت في السادس عشر من سبتمبر ١٤٨٩م ، فهو من يهود أسبانيا قدم الي بيت المقدس وهو صغير في صحبه والده وبعد وفاة الأخير اعتنق الإسلام ، وانخرط في سلك الخدمة لدى المماليك حتي تولي منصب كبير التراجمه نتيجة لمعرفته باللغات الأوروبية خاصة اللاتينية (٦) ؛ وإن كان الرحالة

الألماني بريدنباخ Brey den bach وزميله فليكس فابري اللذان زارا القاهرة عام ١٤٨٣م، قد أعطيا صورة واضحة أكثر مما أوردها الأخرون فيقولان بأنه من يهود صقلية وأرتد عنها إلي المسيحية ودرس علي اللاهوت في روما وأصبح قسيسا ، ولكن أمام رغباته في تحقيق المجد والجاه هرب الي القاهرة وأعتنق الإسلام وتولي هذا المنصب الذي مكنه من تحقيق أماله(٧) .

وعلي الرغم من دخول من سبق ذكرهم الإسلام قبل توليهم منصب كبير التراجمه في الدولة المملوكية إلا أن اليهود قد تقاسموا مع المسلمين العمل في الترجمة حتي أن السلاطين أنفسهم قد كفلوا لهم اشتغالهم بها ؛ ففي عام ٨٣٤ هـ / ١٤٣٠ م عقدت اتفاقية بين مملكة أرجون وبين السلطان برسباي حيث شملت السماح للقنصل الكتالوني بتشغيل كل من يستطيع القيام بأعمال الترجمة سواء كان مسلما أو يهوديا أو نصرانيا (٨)كذلك عمل اليهود كمترجمين لدي المؤسسات التجارية الأوروبية فقد أشار عوبيديا الي وجود يهودي يسمى الرابي موسي جراسو R mose Grasso في مدينة الإسكندرية يعمل ترجماناً للتجار البنادقة (٩) ؛ علي الجانب الآخر عملوا في خدمة السلاطين المماليك فقد أوردت إحدى المصادر العربية أن هناك مترجم يهودي في صحبة مندوب السلطان عند استقبال الوفد الفرنسي عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ، حيث قام بترجمة اللقاء بين الجانبين وقد استعان به المندوب الفرنسي عندما أراد التعبير عن شكره لهذا الاستقبال(١٠).

وعمل بعض اليهود ايضاً كمترجمين ومرشدين للحجاج الأوروبيين القادمين إلي الشرق سواء كانوا مسيحيين أو يهود ، حيث كان كبير التراجمه بالقاهرة مساعدون له في نيابات الشام وأهمهم ترجمان القدس الذي كان يقوم باستقبال هؤلاء الحجاج في يافا والقدس ويدون أسمائهم علي وقاع وترسل الي كبير التراجمه بالقاهرة ، حيث يعد الأخير هو المسؤول عن تنظيم شؤونهم أمام السلطة المملوكية فيرسل المترجمين مع الحجاج أثناء رحلاتهم لتوفير الأمن والحماية لهم ، ويبدو أن صاحب هذه الوظيفة تميز بعدة صلاحيات علي اعتبار أنه موظف رسمي من قبل سلاطين المماليك ، فقد أشار الرحالة دى لابوركيية de Le Brocuiere إلى أن ترجمان القدس يأخذ منهم ضريبتين الأولي باسم السلطان والثانية لنفسه مقابل الخدمات التي يقدمها لهم، وكان من حق هؤلاء الحجاج تقديم الشكوى إلى كبير التراجمه أذا لم يحصلوا علي المعاملة الجيدة ؛ وكان يشغل منصب ترجمان القدس خلال الفترة التي ألت فيها ملكية القبر المقدس إلي اليهود شخص يهودي يسمي نصر الدين وهو أحد اليهود الذين تركوا دينهم

واعتنقوا الإسلام (١١) ومن المرجح أنه من أصول يهودية أوروبية ومما لا شك فيه انه لعب دور مهم في نجاح مساعي اليهود الإشكيناز في تملكهم القبو(١٢) ، ومن الملاحظ أنه علي الرغم من إسلامه إلا أنه عمل علي إعلاء شأن بني جلدته .

ويبدو أن ناجيد اليهود بالقاهرة أو نائبه في القدس قد عملا كلاهما بالترجمة في حاله عدم وجود من يشغل هذا المنصب بذلك جمع بين الوظيفتين ، وأشار عوبيديا الي أن ناجيد اليهود بالقاهرة عند زيارته لها كان يدعي ناثان هاكوهين R.Nathan Hacohen الذى قام باستقباله واستضافته (١٣) ، تلك الأًعمال التي تعد من اختصاصات كبير التراجمه ومن المرجح أنه قام بالترجمة له عند السلطان برسباي ؛ بينما ذكر ميشولم بن مناحم في أحد خطاباته التي تعود إلى عام ٨٦٨هـ / ١٤٨١م أنه عند زيارته للشرق أن أحد اليهود الإسبان قام بالترجمة لهم عند السلطان حيث كان يجيد العديد من اللغات منها التركية والعربية والفرنسية وعند زيارته لبيت المقدس تولي ناجيد اليهود بالقدس الترجمة لهم عند نائب السلطنة بعدما قام باستقبالهم (١٤) ؛ كذلك قام الرابي رباح بالترجمة لكلاً من الطالب اليهودي وصديقه اثناء زيارتهما للقدس(١٥) .

أما بالنسبة للمناصب التي عمل بها اليهود ببلاد الشام فعلي الرغم من عدم وجود عائق أمامهم في تولي مثل هذه المناصب ، إلا اننا نلاحظ قله تواجد اليهود بالنظام الإداري لنيابات الشام ويرجع ذلك إلى أن يهود تلك الأقاليم تميزو بالتخلف وعدم الاهتمام بالعلم والعلماء حتي أنهم قد تغاضوا عن إقامة شعائرهم الدينية أحيانا حيث انشغلوا عنها بجمع الأموال معتمدين علي من قدم الي بلاد الشام ليكونوا قادة وزعماء دينيين لهم فنادرا ما نجد أحد اليهود قد تولي احد المناصب الإدارية بالشام الأمر الذي استنكره عليهم عوبيديا فيقول " ومن السهل علي أي رجل ذكى متمكن بالعلوم السياسية أن يرتقي إلي أن يصبح رئيسا سواء لليهود أم للعرب علي حد سواء ، أذ لا يوجد من بين كل الأهالي (يقصد اليهود) رجل حكيم له حس خاص ولديه الحنكة للتعامل مع رجاله التابعين له بدماثة ، فجميع هؤلاء جهلاء سيئوا الظن فيمن حولهم ، وكل ما يهمهم هو الكسب المادي فقط "(١٦) ، ويتضح من خلال ما سبق أن فرصة تولي مثل هذه المناصب كانت متاحة أمام اليهود بشرط أن يكون من يتولاها ذو حس قيادي ولديه ذكاء وقدرة علي التعامل بسياسة وحكمة مع من حوله ، تلك الأمور التي توفرت في عوبيديا فتولي منصب ناجيد اليهود بالقدس ، بالإضافة إلى ذلك يمكن تفسير تقاعس اليهود أو عدم رغبتهم في العمل

بتلك الوظائف هو خوفهم من كثرة المراسيم التي كانت تصدر لطردهم منها ومصادرة أملاكهم أو إجبارهم علي الدخول في الإسلام للاحتفاظ بها ولذلك فربما فضلوا أن يبقوا بعيدين عن الصراعات السياسية خاصة وأن بلاد الشام كانت ميدانا لهذه الصراعات بالإضافة إلى أن أغلب اليهود المتواجدين ببلاد الشام كان جل همهم التبرك بتواجدهم بالأماكن المقدسة من ناحية أو لجمع الاموال عن طريق التجارة من ناحية أخرى .

ومهما يكن من الأمر فان هناك بعض اليهود تولوا عدد من المناصب الإدارية في نيابات الشام خاصة في عهد النواب والسلاطين الضعاف ؛ فقد أوردت لنا المصادر العربية ووثائق الجنيزة وبعض خطابات الرحالة اليهود العديد من الإشارات والأحداث التي تشير إلى اشتغالهم في أعلي وأجل المناصب الإدارية وترجع دكتورة زبيدة عطا سبب استعانة المماليك باليهود في إدارة الحكم إلى عدم وجود عصبية لهم تسعي للانفراد بالحكم خاصة وأنهم تميزوا بالاندماج والارتباط بالأقطار التي عاشوا فيها وكانوا يحنون إليها أذا تركوها (١٧) ، وإن كان من المرجح أنهم قد حصلوا عليها بطرق ملتوية مثل البذل والبرطلة (الرشوة) والتوسط لدي السلاطين(١٨) ؛ وإن كانت هذه الوسائل ليست جديدة عن المجتمع الإسلامي حيث لجأ إليها أحد اليهود أيام دولة بني أيوب ، ففي منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كان يتولى رئاسة اليهود الطبيب صموئيل بن حنانيا وكان يحظى بحب وتقدير سلاطين بني أيوب إلا أن يهودياً آخر يدعى زوط تمكن من دفع مبلغ من المال ليحصل على منصب رئيس اليهود إلا أن الأخير كان مكروهاً من اليهود فلم يستمر في هذا المنصب سوى سته وستين يوماً فتم عزله واعيد صموئيل الي منصبه مرة أخرى وظل في منصبه حتي توفي وبعده ظل المنصب شاغرا لفترة طويلة (١٩) .

كذلك أكدت وثائق الجنيزة علي أن الرابي داود تمكن من العودة الي منصبه كناجيد(٢٠) لليهود في الثامن من ربيع الآخر عام ٦٩١هـ /١٣٩١ يونيو عام ١٢٩١م، بعدما كان قد طرد منه عام ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م حيث تولي هذا المنصب الشيخ المهذب ابو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب ابي الحسن بن صموئيل المتطبب، وكان داود هذا يقيم في فلسطين وكان علي علاقة طيبة بأحد اليهود الأغنياء بها وكان الأخير علي علاقة وثيقة بالقاضي فخر الدين بن لقمان الذي توسط عند السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الذي استجاب لطلبه وأعاد الرابي داود إلي منصبه(٢١) .

كذلك لجأ اليهود إلى ادعاء إسلامهم حتي لا يتم طردهم من تلك الوظائف التى كانوا يعملون بها الأمر الذي أدي إلي فساد المجتمع الإسلامي أكثر من إصلاحه ، فأدي دخولهم الإسلام كذبا إلى ازدياد نفوذهم وبدأوا يتحكمون في أحوال المسلمين ويتسلطون عليهم فزادت كراهية المسلمين وغضبهم تجاه اليهود خاصة بعد أن لجأ الكثير منهم إلى كسب المال مستغلين نفوذهم ، فعاشوا حياة مترفة مليئة بمظاهر الثراء والغني في الوقت الذي كان فيه عامة المسلمين يعانون من القحط والفقر الشديد ، فقام المسلمون بالشكوى إلي الولاة وأحيانا إلى السلاطين اذا لزم الامر لطرد هؤلاء اليهود من مناصبهم حتى وإن كانوا قد أعلنوا إسلامهم ؛ وأشهر هذه الأحداث ما عرف بحركة أبو السرور السامري حيث كان نائب طرابلس سيف الدين كرجي الذي تولي نيابتها خلال الفترة التي تقع بين (٧٠٠ – ٧٠٩ هـ / ١٣٠٠ – ١٣٠٩ م) كان قد استخدم أبو السرور هذا كاتباً في ديوانه وفوض إليه أمور التجارة ولكن الأخير استغل منصبه واستحكم في أمور العامة وعاش في ترف وبزخ شديد حتي انه ركب الخيول المزينة بالسروج المذهبة والكنابيش(٢٢) الحريرية المحلاة بالذهب والفضة وزادت أمواله نتيجة لعمله بالتجارة فيقول فيقول المقريزى "حتى كثرت أمواله وسعادته وتزايد شره وضرره وكثرت شكاية الناس منه "(٢٣)ولكن العامة من المسلمين كانوا يخشون من النائب فتحدثوا للأمير سيف الدين بالوج الحسامي أحد أمراء طرابلس الذي عزم علي وصول شكوى الناس إلى سيف الدين كرجي ".... ولما حضروا يوم الموكب للخدمة شرع الأمير بالوج وفتح الكلام وقال ياخوندا أهل طرابلس جميعهم يشكون من هذا السامري وعندهم ألم كثير وضرر عظيم بسببه فالتفت اليه النائب كالمغضوب وقال : يكذب أهل طرابلس فأنهم مراجفون مناحيس ، وأنت أيضا بقيت مثلهم "(٢٤)، الأمر الذي أغضب الأمير بالوج فعمل علي قتل السامري لكنه فشل في ذلك فأرسل اسدمر إلي القاهرة يشكو بالوج الذى تم القبض عليه وسجن فزاد أمر السامري من تسلط وظلم واستبداد بعامة المسلمين بطرابلس ، وأصبح هو المتحكم في الجيش(٢٥)، فاحكم قبضته عل كافة أمور النيابة حتي وصل أمره إلى قاضي القضاة بدمشق " جمال الدين المالكي " والذي حكم علي السامري بإراقة دمه لأنه تلفظ بكلام فيه كفر وخروج علي دين الإسلام ؛ وعلم نائب دمشق " جمال الدين أقوش الافرح " الذي أرسل إلى نائب طرابلس يأمره بحمل السامري لدمشق وأن يطلق سراح الأمير بالوج فقام اسدمر بالأفراج عن الأخير وأحسن اليه وقيد السامري وسلم إلى البريد لإرساله إلى قاضي القضاة بدمشق ، ولكنه أرسل خلفه من قتله في حمص حتي لا يفتضح

أمره أمام القاضي وحملت رأسه الي دمشق (٢٦) ؛ وعلي الرغم من ذلك لم تنتهي الفتنه إلا بعد أن قام السلطان الناصرخلال فترة حكمه الثانية (٧٠٩-٧٤٠ هـ / ١٣٠٩ ١٣٤٠ م) بخلع الكرجي عن نيابة طرابلس وجعله علي نيابة حماة عوضا عن قبجق ، وعين علي طرابلس بدلاً منه الحاج بهادر الحلبي(٢٧) ، حتي تهدئ العامة حيث أنهم كانوا شديدي الغضب من الأمير كرجي .

أما في مدينة دمشق قد بلغ اليهود من المناصب والقوة والنفوذ ما لم يبلغ مثله إخوانهم في بقية نيابات الشام ، فقد تولوا أعلي واجل المناصب بها حتي كادوا يتحكموا فيها في بعض الاحيان حيث كان يتولى منصب نائب ديوان الجيش يهوديا يسمي النجيب ابي الفرج اليهودي ذلك عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م ، الأمر الذي يدل علي أن ما تم إصداره من مراسيم تنص بعدم استخدام الأمراء لليهود في أي من أعمالهم الديوانية والإدارية قد أصبح حبر علي ورق فتم تجاهلها جميعا ؛ وكان هذا اليهودي قد طالبه الجنود في شهر ذي الحجة من العام سابق الذكر بالحمل فقام ببيع ما يملكه من أثاث وملك وغيره " وحمل إلي آخر صفر سنة ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ستين ألف درهم "(٢٨)الأمر الذي يدل علي مدي ثراء هذا اليهودي ؛ كذلك اوردت لنا المصادر انه وفي مستهل شهر ربيع الآخر عام٧٦٧هـ ، كانت وفاة المعلم داود الذي كان يهوديا قرائيا وأسلم وتولي مباشرا لنظارة الجيش ، وأضيف إليه نظر الدواوين ا فاجتمع له هاتان الوظيفتان ولم يجتمع لأحد من قبله (٢٩) وأشار ابن شاهين الظاهري إلى وفاة البدر السامري عام ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م حيث كان سامري الأصل وكان كاتب سر دمشق وناظر جيشها وخدم في ديوان بكتمر جلق قبل إسلامه وظل يترقى في المناصب حتي جمعت له كتابة السر مع نظارة الجيش ولم يجتمعا لأحد قبله ، ويبدو انه قد أسلم للحفاظ علي منصبه ولتحقيق مصالحه الاقتصادية فيقول عنه ابن شاهين "وطالت أيامه ، وكثر ماله ولم يشهد له بدين ولا فضيله "(٣٠) ؛ بالإضافة الي ذلك أشار ابن طوق إلى تولي أحد اليهود كتابة السر بدمشق عام ٩٠٠ هـ / ١٤٩٢ م كان يسمي محب الدين(٣١) ، كما تولي صدقة السامري منصب معلم دار الضرب بدمشق عام ٩٢٢م وحصل على المنح والعطايا من النائب حتي أنه تصرف في سك النقود فنجده قد سك نقود بلغت الألف درهم قام بنثرها علي السلطان عندما زار دمشق عام ٩٢٢هـ /١٥١٦م (٣٢) .

أما في مدينة حلب فقد أورد ألينا الصفدي أنه في أيام قراسنقر بحلب زمن السلطان المنصور قلاوون كان هناك مستوفي علي الأوقاف شخص يهودي فضايق الفقهاء وأهل الاوقاف فشكوه إلى قراسنقر الذي عزله من منصبه ولكن اليهودي نجح عن طريق البذل والبرطلة في العودة إلى منصبه مرة أخرى وقام بالتضييق علي الذين شكوه لذلك عملوا علي عزله للمرة الثانية وعلي الرغم من نجاحهم في عزله إلا أنه تمكن من العودة لمنصبه للمرة الثالثة بعدما دفع الاموال للنائب ، إلا أن المسلمين قد استعانوا بالخطيب شمس الدين الخابورى ليخلصهم من هذا اليهودى وتمكن هذا الخطيب من إلزام ديان اليهود بحلب أن يعزل اليهودى فاستراح المسلمون منه (٣٣)؛ بالإضافة الي ذلك فقد أوردت لنا المصادر العربية الإشارات التي تدل ما بلغه اليهود بنيابة حلب من نفوذ وسلطة حتي كادوا يتحكمون في كافة أمورها وعبر عن ذلك ما قاله كاتب الانشاء شمس الدين أبي السفاح الحلبي (٣٤) معتذرا علي عدم رجوعه إلى حلب بسبب ازدياد نفوذ اليهود بها فقال :

وعن حلب قوضي خيامي فقد علت عليها لأبناء اليهود سناجق

فأني نكست أعلامهم انا راجع أليها والا فهي مني طالق(٣٥)

كذلك وجد بالقدس أحد اليهود وهو" داود القرائي " يعمل مباشرا لنظارة الجيش ونظارة الدواوين في نيابة القدس فلم يجتمع لأحد من قبله هاتين الوظيفتين وذلك عام ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م(٣٦) ؛ وأيضاً عمل بعض اليهود كسفراء لسلاطين المماليك عندما أرسل السلطان قنصوه الغوري عام ٩١٣ هـ / ١٥٠٨م سفارة دبلوماسية لتحسين العلاقات التجارية بين مصر والبرتغال وكان سفيرها يعقوب روساليس من يهود المغرب المقيمين بالقدس وكان يحمل عدة خطابات سرية وذلك لحل مشكلة اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح التي تسببت في أزمة اقتصادية للمماليك(٣٧) الأمر الذى يدل علي ما تمتع به اليهود من مكانه متميزة وحرية في تولى بعض الوظائف الإدارية في مدن بلاد الشام وأنهم كانوا جزء من المجتمع الشامى خلال العصر المملوكي وان كان ذلك يدل علي أن اليهود ببلاد الشام لم يلتزموا بما نصت عليه مراسيم سلاطين المماليك من عدم استخدامهم في أي من المناصب الديوانية .

هوامش البحث:

[1] Adler , Elkan Nathan : Jewish travelers , London , 1930 , p 167

[٢] بيرو طافور : رحلة طافور في عالم العصور الوسطي ، ترجمة وتعليق : حسن حبشي ، المكتبة الثقافية والدينية ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ ، ص ٦٥ .

[٣] أحمد دراج : المماليك والفرنجة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ، ص ٣٧ – ٣٨ .

[٤] بيرو طافور : مصدر سابق ، ص ٦٤

[٥] أحمد دراج : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

[٦] بيرو طافور : مصدر سابق ، ص ٦٥ – ٦٨ .

[7] Larrivaz , les saintes Peregrinations de Bernard – Brayden bach Ex traits relatifs E egypte Suivant ledition de 1490 , le caire , 1904 , p 49.

[٨] محاسن محمد الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ١٢٤ .

[9] Adler ; op cit , p 220 .

[١٠] ابن أياس : بدائع الزهور في عجائب الدهور ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ج٤ ، ص ٢٦٩ .

[11] De le Brocuiere : Voyage d Outremer de Bertrandon de la Broquiere , publie et annote : C H Schefer , paris , 1993 , p , 14 .

[١٢] أحمد دراج : المماليك والفرنجة ، ص ٣٨ .

[13] Adler : op cit , p , 229 .

[14] Ibid , pp , 167 , 189.

[15] Norman, Astiman: the Jews of Arab Land , New york , 1991 , , pp , 264 – 265

[16] Adler : op cit , p, 235

[١٧] زبيدة محمد عطا : اليهود في العالم العربي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ٢٠ – ٢١ .

[١٨] البيومي إسماعيل الشربينى : النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٥١ .

[19] Eliyahu Ashtor : History of the Jews in Egypt the Mamluks Geniza documents, Jerusalem , 1970 . , vol , II , p , 309 ,: Ashtor : _ Saladin and the Jews , Hebrew Union College Annual , VXXVII , Jerusalem , 1950 , p , 313 .

[20] وهى كلمة توراتية الاصل مفرد جمعها نجيديم ويقصد بها رئيس اليهود أو رئيس الديسبرا Nagid "الناجيد" (الشتات) وفي العربية تعنى الأمير ويبدو أن هذا اللفظ اطلق علي رئيس اليهود طوال العصور الوسطى حيث أورد لنا عوبيديا لفظ أمير اليهود كما سمعه في الشرق أثناء زيارته لبلاد الشام ،واطلق عليه ايضا " الربيس " وقد عرف العالم الإسلامي هذه الوظيفة قبل فترة الدراسة حيث أشارت أحدى وثائق الجنيزة إلى أن هذا اللقب لم يعتمد كلقب رسمي للسلطة المركزية علي اليهود إلا في نهاية القرن الحادي عشر وظل هذا المنصب حتى بعد دخول العثمانيين بلاد الشام ومصر حيث تم الغائه في القرن التاسع عشر الميلادي وحل محله منصب الحاخام الأعظم الذي كان يتبع الحاخام في اسطنبول مزيد من التفاصيل انظر ، عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ١٩١ ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، دار الشروق ، القاهرة ،١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ج٤ ، ص

٦٦ ، عرفة عبده علي : ملف اليهود في مصر الحديثة ،مكتبه مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١ م ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ Cohan Amnon : Jews life under Islam , , Cambridge , 1984 , p , 50

[٢١] محاسن محمد الوقاد : اليهود في مصر المملوكية ، ص ٢٧٥ .

[٢٢] الكنابيش : هي كلمه جمع مفردها كنبوش وهي البردعة التي توضع تحت السراج ، انظر النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٣٢ ، تحقيق :إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ٦٦ .

[٢٣] المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك : تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ج٢ ، ص ٣٧٧ .

[٢٤] العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمود رزق محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م ، ج٤ ، ص ٣٥١ – ٣٥٢ .

[٢٥] العيني : مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٣٥٢ ، ايرمارفين لابيدوس : مدن إسلامية في عهد المماليك ، ترجمة : على ماضي ، الأهلية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٠١ .

[٢٦] العيني : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ السيد عبد العزيز سالم :طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٣٢٦ – ٣٢٧

[٢٧] المقريزي : السلوك ، ج٢ ، ٤٤٥ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ج٩ ، ص ١٠ .

[٢٨] ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان المعروف بتاريخ ابن الجزري ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ج٢ ، ص ٥٣٤ .

[٢٩] ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق :عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الجزء الثامن عشر ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٧٠٩ – ٧١٠ .

[٣٠] ابن شاهين الظاهري : نيل الأمل ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م ج١ ، ق٤ ، ص ٢٣٤ ، تحت رقم " ١٦٥٣" .

[٣١] ابن طوق : التعليق ، مذكرات كتبت بدمشق في أواخر العهد المملوكي (٨٨٥ هـ - ٩٠٨ هـ / ١٤٨٠ م – ١٥٠٢ م) ، تحقيق : الشيخ جعفر المهاجر ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ج٣ ، ص ١٣٢٦ .

[٣٢] ابن طولون الصالحي : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٣١٩ ، ٣٢٧ .

[٣٣] الصفدي : الوافي بالوفيات ، الجزء السابع ، تحقيق : أجمد الارنأووط ، تركى مصطفي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م ،ص ٨٢ – ٨٣ ، عبد الرازق أحمد قنديل: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٢٥ – ٢٦.

[٣٤] هو شمس الدين عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن ابي السفاح الحلبي شمس الدين أبو محمد كاتب الأنشا بحلب ولد عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م قريبا كان حسن الخلق مليح المحاضرة كريم النفس ، ترك حلب وأنتقل للعيش في دمشق ثم تركها إلى القاهرة التي توفي بها عام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م ، وقال هذين البيتين معتذرا عن عدم عودته الي وطنه انظر الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشبهاء ، تحقيق : محمد كمال ،دار القلم العربي ، دمشق ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م ، ج٥ ، ص ٤١ ، تحت رقم (٣٨٠) ، العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تصحيح : سالم الكرنكوى الألماني ، دار الجليل، بيروت ،١٤١٤هـ / ١٩٩٢ م ، مجلد ٢ ، تحت رقم (٢٢٤٩) ، ص ، ٣١٠ .

[٣٥] الطباخ الحلبى : مصدر سابق ، ج٥ ، ص ٤٢، ابن الشحنة : الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تقديم عبد الله محمد درويش ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٢٦٢

[٣٦] منال عمارة : اليهود ونيابة القدس ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦ ، ص ١٢٥ .

[37] Hirscherg H.z . (j , w) : A History of the Jews in North Africa Leiden , volume I , 1974, p , 408 – 410 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية :

- **ابن أياس :** محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) : بدائع الزهور في عجائب الدهور، الجزء الرابع، مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٠م.
- **ابن تغري بردي** : جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى ألاتابكي (٨١٣ - ٨٧٤هـ / ١٤١٠ – ١٤٦٩ م) : النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، الجزء التاسع، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- **ابن الجزري** : شمس الدين عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبى بكر الجزري القرشي (ت ٧٣٨هـ / ١٤٣٨ م) : تاريخ حوادث الزمان المعروف بتاريخ ابن الجزري، الجزء الثانى، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- **ابن شاهين الظاهري** : زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفي (٨٤٤ - ٩٢٠هـ / ١٤٤٠ – ١٥١٤م) : نيل الامل، الجزء الاول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- **ابن الشحنة الصغير**: محمد بن محمد بن محمد بن أبو الوليد بن الشحنة (٨٠٤ - ٨٩٠ هـ / ١٤٠٢ – ١٤٨٥م): الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد درويش، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م) : الوافي بالوافيات ،الجزء السابع، تحقيق : أحمد الارناؤوط وتركي مصطفي، دار أحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م.
- **ابن طوق** : شهاب الدين أحمد بن مححمد الدمشقي (ت ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م) : التعليق (مذكرات كتبت بدمشق في أواخر العهد المملوكي)، الجزء الثالث ، تحقيق : الشيخ جعفر المهاجر ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.
- **ابن طولون الصالحي** : شمس الدين محمد بن على بن طولون الصالحى الدمشقي (٨٨٠ - ٩٥٣ هـ / ١٤٧٥ – ١٥٤٦ م) : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.
- **ابن عبد الظاهر** :محي الدين ابو الفضل عبد الله السعدي (٦٢٠ – ٦٩٢ هـ / ١٢٢٣ – ١٢٩٢ م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق : مراد كامل ، مراجعة : محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م.
- العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢هـ / ١٣٧٢– ١٤٤٩م) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، المجلد الثانى ، تصحيح : سالم الكرنكوى الألماني ، دار الجليل، بيروت ،١٤١٤هـ / ١٩٩٢م.
- **العيني** : محمود بن أحمد المعروف بالبدر العيني (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ / ١٣٦٠ – ١٤٥١ م) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ،الجزء الرابع ، تحقيق : محمود رزق محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠م.
- **ابن الفرات** : ناصر الدين محمد عبد الرحيم بن الفرات (ت ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩م): تاريخ ابن الفرات، الجزء الثامن، تحقيق : قسطنطين زريق، نجلا عز الدين، مطبعة الامير كانية، بيروت، ١٣٥٨هـ /١٩٣٩م.

- **ابن كثير** : عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤هـ / ١٣٠١ – ١٣٧٢م): البداية والنهاية ،الجزء الثامن عشر، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م.
- **المقريزي** : تقي الدين أبى العباس أحمد بن على بن عبد القادر ألعبيدي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الثانى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م.
- **النويري** : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٣٢، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

ثانيا : المصادر الاجنبية والمعربة :

- Adler , Elkan Nathan : Jewish travelers, London, 1930.
- De le Brocuiere: Voyage d Outremer de Bertrandon de la Broquiere , publie et annote : C H Schefer, paris, 1993.
- Larrivaz, les saintes Peregrinations de Bernard – Brayden bach Ex traits relatifs E egypte Suivant ledition de 1490, le caire, 1904.
- بيرو طافور : رحلة طافور في عالم العصور الوسطي ، ترجمة وتعليق : حسن حبشي، الكتبة الثقافية والدينية ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢.

ثالثا : المراجع العربية والمعربة :

- أحمد دراج : المماليك والفرنجة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م.
- البيومي إسماعيل الشربينى : النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م.
- السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م
- زبيدة محمد عطا : اليهود في العالم العربي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م
- الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشبهاء ، الجزء الخامس ، تحقيق : محمد كمال ، دار القلم العربي، دمشق ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م .
- عرفة عبده علي : ملف اليهود في مصر الحديثة ،مكتبه مدبولي ، القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م .
- عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ،١٣٨٤هـ / ١٩٧٤ م .
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م، الجزء الرابع.
- محاسن محمد الوقاد : اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.
- منال عمارة : اليهود ونيابة القدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٤٣٦هـ / ٢٠١٦ م .
- ايرمارفين لابيدوس: مدن إسلامية في عهد المماليك، ترجمة: على ماضي، الأهلية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م

رابعا : المراجع الجنبية :

- Cohan Amnon: Jews life under Islam, Cambridge, 1984.
- Eliyahu Ashtor: History of the Jews in Egypt the Mamluks Geniza documents, Jerusalem, 1970 .
- Goition (s.d) : Saladin and the Jews, Hebrew Union College Annual, VXXVII, Jerusalem, 1950.
- Hirscherg H.z . (j, w) : A History of the Jews in North Africa Leiden, volume I, 1974
- Norman, Astiman: the Jews of Arab Land, New york, 1991.